جميع الحقوق محفوظة

سجينة بين ملاك وشيطان

رواية

منى عريبي

2021/2022

منى عريبي
رواية
سجينة بين ملاك وشيطان

اهداء...

اليك اهدي ما ائتمنتني عليه وتحملت المشاق للوصول اليه، اليك اهدي ما علمتني اياه خلال رحلتي في الغوص في تجارب الحياة واكتشاف ذاتي لاجل تحقيق احلامي... اليك اهدي رواية سجينة بين ملاك وشيطان.

....

جميعا نشبه كوكب القمر إلى حد كبير له جانبين أحدهما مضيء والآخر مظلم،
كما أننا فقط من لدينا الحق في اختيار ما سنكون عليه، إما الملاك ....أو الشيطان

***

ميكاييلا

.. لقد وصلنا الى وجهتك يا آنسة !!

إنتبهتُ مع صوت السائق البرازيلي الذي يكتسي لون بشرةٍ سوداء داكنة ترمز إلى عِرقه الإفريقي بكل وضوح بالرغم من فصاحة لسانه في اللهجة الإيطالية التي تحدث بها لتوه معي؛ إبتسمتُ بعفوية مصطنعة وأنا أُشيح بنظري إلى إنعكاسِ المرآة الأمامية للسيارة أتاملُ تلك العيون شديدة السَّواد توحي بشيء من الرهبة والفضول ثم ترجلت بكل هدوء ودقاتُ قلبي تخفِق بسرعةٍ رهيبة تكاد تخترق جداريات قفصي الصدري غيرمستعدة بعد لهذه المهمة التي أُلقيت على عاتقي في لحظة لم تكن في الحسبان أبدا.

كنتُ أنظر إلى أسوارالقصر الشامخ كشموخ الجبال الراسية تكتسي جدرانه حلة بطلاء أبيض كأنها عروس مزدانة في أبهى طلة لتبهج النفوس، أخرج السائق البرازيلي حقيبتي من صندوق السيارة الخلفي ثم أعاد إلي ما تبَّقى من النقود مُمْضِيًا في حال سبيله قِدْما إلى الأمام تاركا إياي بمفردي أُواجه مصيري المحتوم الذي قادني إليه القدر رغما عن أنفي، بقيتُ أمشي بخُطى متثاقلة أتفحصُ المكان من الخارج بإعجابٍ شديد ولوعة فهذه أول مرة لي أرى فيها بيتا بهذه الضخامة والدِقة في التصميم مع براعة في الهندسة وما آثار إنتباهي أكثر هو تلك النافورة الدائرية التي تتربعُ عرش الجاذبية وسط الحديقة الأمامية دلافينها تنفثُ الماء في مركزها بطريقةٍ تسرُّ الناظرين، لم ألبث مكاني كثيرا خلف تلك البوابة الحديدية حتى أتاني شاب ثلاثيني مفتول العضلات طويل القامة وأبيض البشرة يرتدي بِدلة سوداء من أعلى رأسه وحتى أخمص قدميه يتفحصني بنظرات ثاقبة كالصقر قد أدخلت الشك الى قلبي....

-هل أنت الآنسة ميكاييلا شارلوك ؟

-نعم، سيدي

أجبت بهدوء ودون أن أُضيف شيئا آخر بعدها أخرجتُ أوراقي الخاصة التي هي تذكرة دخولي الى هذا البيت الكبير...

- تفضلي يا آنسة شارلوك إن السيد والسيدة مونتويا في إنتظارك

حملتُ حقيبتي الجلدية البنية وسِرت بخطوات واثقة ممزوجة ببعض التردد نحو الداخل بعدما فُتحت البوابة أمامي على مصرعيها والتوتر كان هو سيد الموقف، أخذ الشاب عني الحقيبة وقادني حيث الباب الرئيسي للبيت وهو يخبرني عن بعض المعلومات بخصوص

هذه العائلة لربما كنت في حاجة الى معرفتها أما عن نفسي فقد كان جُلُ تفكيري في شيء آخر تماما يختلف كل الاختلاف عن ما يمر الان على مسامع اذني.

فتحت لنا الباب سيدة أربعينية حنطية البشرة ترتدي لِباس الخدم ترفع شعرها إلى الأعلى في شكل كعكة كي لا يزعجها عند العمل؛ نظرت نحونا أو بالأحرى نظرت نحوي بنظرات فضولية تُمرِرُ عينيها العسلية على جسدي من الأعلى وإلى الأسفل إذ كنتُ أرتدي تنورة سوداء طويلة مع قميص أبيض بأكمام طويلة ايضا وأزرار تُزَينُ واجهة الصدر أُطلق شعري الأشقر الأملس خلف ظهري لأني لستُ من النوع الذي يحبذ ان يرفعه إلى الأعلى بتسريحة أو شيء من هذا القبيل، قبل أن تنطق معنا السيدة قاطعها صوت الشاب وهو يخبرها أن تقودني إلى المجلس حيث السيد والسيدة في إنتظاري فأومأت له رأسها بالإيجاب وطلبت مني أن ألحق بها بصوت رقيق لا يبدو عليه الرهبة، دلفتُ إلى الداخل وقد شعرتُ لوهلة بإنقباض في قلبي لا أدري كينونته كنتُ على شفا حفرةٍ من ترك كل شيء ورائي والعودة إلى المدرسة الداخلية لكنني تراجعتُ في آخر لحظة بعدما تذكرتُ الحديث المحزن الذي دار بيني وبين مدير مدرسة سانت لويس الداخلية ويل سميث...

- أنا أعلم أنك تحبين العمل هنا يا آنسة شارلوك لكن أُعذريني لم أجد شخصا أنسب منك في هذه المهمة وأنت الآن أمام خيارين إما قبول عرض السيد مونتويا أو ترك العمل في سانت لويس؟؟!

لم أُصدق عندها أن السيد ويل سميث قد وضعني تحت الأمر الواقع حقا وخيَّرني بين القبول أوترك العمل نهائيا بالرغم من أنه يعلم أن هذه المدرسة هي بيتي وليس لي مكان آخر، بقيتُ مطققطقة الرأس أمامه والدموع قد تجمعت في مُقلتي فماذا عساي أفعل وأنا لا خيار أمامي سوى حزم حقائبي والاستعداد لهذه الرحلة من فياكو لونا كامبوس إلى بورتا رومانا . أفقتُ من شرودي على صوت الخادمة وهي تأمرني أن أبقى هنا في غرفة المكتب ريثما تُعلم السيد والسيدة بوصولي، كانت الغرفة هادئة جدا بها مكتب وكرسيين وأريكة من الجلد الحر قرب الباب ومكتبة صغيرة تحوي في جعبتها العديد من الكتب المتنوعة بجانبها إطار صورة معلق في الجدار يعود إلى سيغموند فرويد طبيب أعصاب نمساوي اشتُهر بتطوير نظريات التحليل النفسي ويبدو أن هذا يُفسر الكثير حول شخصية السيد مونتويا، شعرتُ بالتعب فتوجهتُ إلى كرسي خشبي له مرفقين من الجلد الأسود مقابلا للمكتب وجلستُ بهدوء أضع يدي على قلبي الذي لم يعرف طريقا للتوقف تلك اللحظة لمحتُ صورة داخل إطار صغير بجانب حاسبٍ محمول تعود لفتاة صغيرة لا تزال في عقدها الاول من العمر تضحك بعفوية وبراءة قد أثارت استحساني على حين غِرّة ولم أجدني إلا وأنا أبتسم معها وكأنها أمامي على أرض الواقع، إنتفضتُ بفزع على صوت الباب وهو يُفتح بطريقة مفاجئة ليظهر شاب أشقر طويل القامة يرتدي بدلة سوداء توحي بشيء من الهيبة والفخامة تقدم نحوي بإبتسامة شبه معدومة قد إرتسمت على شفاهه الكرزية الممتلئة ثم مد يده لمصافحتي بشيء من الترحيب البارد وكأنه غير سعيد بوجودي هنا...

-إذا أنت هي الآنسة ميكابيلا شارلوك من طرف السيد ويل سميث؟

-أجل، سيدي

-غابرييل مونتويا والد الطفلة التي أتيت لأجلها

جلس على الكرسي خلف مكتبه بعدما أتم التحية معي يرمقني بنظرات غريبة تحمل معاني كثيرة بتلك العينين السماوية وصار يقلب سيرتي الذاتية بكل جوارحه رافعا أحد حاجبيه إلى الأعلى في تعجب ثم أردف أيضا...

- متحصلة على شهادة ماجستير من جامعة بولونيا وتجيدين التكلم بالفرنسية والألمانية بالإضافة إلى الإنجليزية ولديك خبرة لأكثر من خمسة سنوات في مهنة التدريس

- نعم سيد مونتويا

- جيد تبدين مناسبة ظاهريا كما أن سيرتك لا بأس بها لقد قُبلت في العمل سنتكلم عن الأجر عندما أرى أسلوبك مع ماريا

قال كلمته وهو يضع الأوراق فوق مكتبه بطريقة عشوائية غير عابئ بشيء أمامه، شعرت ببعض الضيق والنفور من هذا المكان ولا أدري ما السبب ليس من السيد غابرييل الذي بدا رسميا معي من طريقة كلامه بل وكأن هناك أحداث عجيبة في إنتظاري، أتاني صوته مجددا وهو يضيف قائلا بعدما ألقى نظرة خاطفة على ساعة يده الذهبية...

- إن إبنتي ماريا تعاني من إضطرابات نفسية نتيجة عدة ظروف مرت بها ولهذا أرجو منك أن تأخذي حذرك بخصوص هذا الأمر وكذلك هي فتاة جد حساسة وطيبة القلب ولا أظن أنك ستعانين أي مشاكل معها فقط ساعديها في إستدراك ما فاتها من الدروس بسبب تغيباتها التي دامت شهرين ونصف عن المدرسة

قام من مكانه في عجل بعدما أتاه إتصال مهم وتوجه بخطى سريعة ناحية الباب وقبل ان يدير المقبض التفت ناحيتي وكانه تذكر امر ما وقال...

- ستقيمين هنا من الان وصاعدا حتى تنتهين من مهمتك واذا حصلت معك أي مشكلة لا تتواني في اخباري بها واذا لم تجديني كلمي توليستا عنها وهي بدورها ستخبرني عنها

بعدها غادر المكان يستعجل في خطواته يتكلم على هاتفه المحمول بنبرة توحي بحدوث مشكلة ما مكان عمله.

غادرت انا بدوري الغرفة ابحث عن السيدة توليستا استفسر عنها عن غرفتي لارتاح قليلا من تعب السفر الذي اخد نصيبه مني وبينما انا اشيح بنظري يمينا ويسارا ارتطمت بجسد هزيل قد اوقعته ارضا بسبب بنيتي الضخمة، انحنيت على تلك الملاك التي اصدرت صوتا رقيقا ينم عن الالم الذي شعرت به جراء تلك الوقعة عند الدرج الذي يؤدي الى الطابق الاول ورحت اسالها بهلع ان كانت بخير ام لا امعنت النظر فيها مطولا وانا امسك باحد ذراعيها اساعدها على الوقوف لاجدها نفس الفتاة التي رايتها في اطار الصورة عندما كنت قبل قليل في مكتب السيد مونتويا يبدو انها ابنته ماريا التي ساكون مدرستها الخاصة من

اليوم وصاعدا، كانت فتاة جميلة جدا شقراء الشعر وبيضاء البشرة قد اخدت لون عينيها وراثة عن ابيها وجنتيها متوردتين كانها وردة جورية عبيرها يفوح في كل مكان مخلفا عطرا ياسر القلوب، انتبهت الفتاة معي وقالت بصوت ملائكي كانه موسيقى ناي او كمان قد ضربت على اوتارها لتعزف لحنا ينبض بالحياة...

- من تكونين انت ؟

ابتسمت ناحها بنفس الطريقة اعبث بشرها الحرير وقد شعرت لحظتها باحساس غريب لم يسبق لي ان عشته من قبل وكان هذه الصغيرة قد ايقظت جميع المشاعر الدفينة في داخلي، قلت لها ...

- انا مدرستك ميكاييلا شارلوك ... وانت السيدة الصغيرة ماريا مونتويا ا ليس كذلك ؟

- اجل، آنسة ميكاييلا

- سعيدة بلقائك اذا

- وانا ايضا مسرورة بلقائك، واخيرا سابدا في مواصلة تعليمي عن بعد كي التحق بصديقاتي

كانت الفتاة في غاية السعادة واليسر خبر قدومي لتدريسها جعلها تنط هنا وهناك كانها فراشة يائسة تحاول الطيران بشتى الطرق. اما انا فقد بقيت انظر اليها بكل حب وحنان لا اصدق ان هذه الملاك هي ابنة ذلك الانسان البارد التي لا تظهر عليه علامات العطف والمحبة، فجاة توقفت الصغيرة عن القفز وتحولت ابتسامتها تلك الى شيء من التوتر والرهبة عند سماعنا لصوت انثوي من خلفنا يعود الى شابة غاية في الفتون لم تخرج من عقدها الثاني بعد ترتدي تنورة جينز قصيرة مع قميص اسود له فتحة في الصدر من دون اكمام ترفع شعرها الجزري المجعد في شكل قصة ذيل الحصان تاركة بعض الخصلات تتدلى من الامام بطريقة مغرية وتضع احمر الشفاه القاتم اللون الذي يرى على بعد الاف السنتيمترات...

- ماذا يحدث هنا ؟ وما كل هذه الضجة يا ماريا ؟

- امي اعرفك بالآنسة ميكاييلا شارلوك مدرستي الجديدة

- اوه، حقا ؟؟ اذا انت هي معلمة ماريا ؟

تقدمت نحوي بخطى بطيئة تتمايل بكعبها العالي الاسود وصارت تلتف حولي تتفحصني بعيون جاحظة رمادية كعيون القط الجائع، ثم قالت وهي تنظر الى سيدة اخرى كانت برفقتها تبدو في العقد الرابع او الخامس من العمر ترتدي فستان بني فاتح ضيق من الاعلى باكمام قصيرة يصل حتى ركبتيها تحمل اكياس بلاستيكية بين يديها ...

- ما رايك بها امي ؟ تبدو عاقلة واستطيع ان اؤمن ابنتي عندها

- اجل، حبيبتي هذا واضح من مظرها ولا اظن انها ستخيب املنا فيها ا ليس كذلك يا ميكابيلا ؟

- طبعا سيدتي كوني مطمئنة ساقوم بواجبي تجاه الآنسة الصغيرة

غادرت السيدتان الى الاعلى معا تاركتيني على اعصابي من الموقف الذي حدث للتو وقد لحقت بهما ماريا تركض خلف والدتها التي لم يكن يبدو عليها انها تهتم لامرها كثيرا.

اما عني فقد واصلت البحث عن السيدة توليستا مدبرة البيت والتي وجدتها في المطبخ تشرف على اعداد طعام العشاء مع شابتين واحدة تبدو في مثل عمري والاخرى في بداية عقدها الثالث..

- هل تريدين شيئا ايتها المعلمة ؟

انتبهت مع توليستا التي لمحتني بدورها اقف عند الباب واردفت بعدها ...

- اريد ان ارتاح من تعب السفر ان كان هذه ممكنا ؟

- طبعا، تعالي معي سادلك على جناحك

قادتني توليستا بلطف الى الطابق العلوي حيث يوجد به ثلاث غرف وحمام وشرفة كبيرة على اليمين تطل على الحديقة الخلفية للمنزل تجعل المرء ينسى نفسه وهو ينظر اليها...

- تفضلي هذا هو المكان الذي ستقيمين فيه من اليوم فصاعدا

- شكرا لك سيدة توليستا

- العفو آنستي

كانت الغرفة في غاية الروعة والاناقة بها سرير وكومدينة بجانبه عليها بعض من العطور ومستحضرات التجميل، خزانة للملابس ومرآة مستطيلة تتكأ على ركيزتين تساعدانها على الوقوف بجانب باب الشرفة التي توجهت اليها ابعد الستائر الارجوانية استقبل نسمات الهواء الربيعية بشيء من الفرح والسرور.

انتفضت في سريري بفزع على اصوات شجار لا ادري مصدرها بين رجل وامراة، نظرت الى ساعة الجدار فوجدتها التاسعة وربع دقيقة لم اصدق انني نمت كل هذا الوقت، اعتدلت في جلوسي وصداع راسي قد بدا معي الان ينبأ باقتراب حدوث ما كنت اخشاه منذ قدومي الى هنا. قمت من مكاني اتجه الى المطبخ كي ارتوي من العطش الذي شعرت به للتو وبينما انا انزل السلالم تناهى الى سمعي مرة اخرى اصوات الشجار وقد كانت قوية هذه المرة قادمة من اخر الرواق في الطابق الاول اجتاحني فضول شديد عندها وغيرت وجهتي من المطبخ الى تلك الغرفة لتلتقط اذناي بعض من الالفاظ..

- اياك واياك ان ترفعي صوتك علي يا آنا صدقيني اطردك من البيت ومن حياتي كلها

- قلت تطردني ؟ وانا زوجتك ووالدة طفلتك الوحيدة يا غابرييل ؟

- اوه، تقصدين ماريا ؟ انت بالكاد تعرفين اسمها من اين تكونين امها ؟ مارسي الامومة بحقها اولا

- لا تغير الموضوع الان فانا لن اسكت هذه المرة حول معاملتك الباردة تجاهي انت لا تعتبرني زوجة لك وتتصرف معي وكانني غريبة عنك

- هل سالت نفسك عن السبب يا ترى ؟ ولما اتصرف هكذا ؟ على كل يا آنا لن اهدر وقتي معك اكثر يكفيني مشاكلي في العمل فلا تزيديها علي ارجوك

عدت بسرعة الى الاعلى حيث غرفتي قبل ان يراني السيد غابرييل اتجسس عليه وعلى زوجته فيظن بي السوء وقد شعرت ببعض الاسى تجاهه وادركت سبب بروده ذاك اذ اتضح الامر انه يعاني الكثير بخصوص علاقته الزوجية وقد لمحته من الشرفة يغادر المنزل بسيارته الجيب بكل عنفوانية، تلك اللحظة زاد صداع راسي اضعاف مضاعفة وجعلت ابتسم مع نفسي تلك الابتسامة التي اخافها بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

***

غابرييل

ادرت المقود اتجه الى مكاني المعتاد بعد كل شجار يدور بيني وبين آنا الذي بات حديثها عن المتعة والرفاهية يشعرني بالاختناق والغثيان ولم يكن هناك ما يرفه عن نفسي وينعش روحي غير التفسح ليلا في شوارع بورتا رومانا العريقة التي تدب فيها الحركة بصورة لا

تقارن بباقي المدن في ميلان، توقفت عند احد الحانات الراقية في شارع لودي كي انسى قليلا المشاكل التي تحوم فوق راسي كما تحوم الغربان حول اجساد ميتة لا حياة فيها ودلفت الى الداخل بخطى مترددة اجهل سببها حيث كان المكان صاخب جدا بموسيقى تصم الآذان والناس مستمتعة جدا من كلا الجنسين، تقدمت الى رف النبيذ الذي قابلني فيه شاب صغير لم اعهد رؤيته من قبل ويبدو انه جديد في العمل يستقبل الزبائن ببشاشة وخفة دم طلبت منه كأسا من الويسكي ورحت اجول بعيناي اتامل المراهقين وهم يرقصون بمرح والابتسامة ترتسم على محياهم اتذكر الماضي بدوري عندما كنت في ذلك السن لا أبالي بأي شيء، أيقظني الشاب من موجة الحنين التي اجتاحتني لوهلة من الزمن يضع أمامي كاس الويسكي الذي ارتشفته دفعة واحدة اطلب منه بعدها كاسا اخر، تلك اللحظة تقدمت مني شابة صغيرة تبدو في العشرينات من عمرها ترتدي ثياب فاضحة جدا من فستان احمر ضيق قصير وحذاء ذو كعب عالي اسود تحمل حقيبة في يدها من الجلد الحر وجلست بجانبي تبعد شعرها الاشقر المموج خلف ظهرها لتظهر قسمات وجهها الفاتنة التي اشعرتني انها مالوفة لي بعض الشيء لكن لا اتذكر اين بالتحديد وطلبت كاسا من النبيذ القرمزي ثم التفتت ناحيتي وقالت....

- تشاجرت مع زوجتك ؟

نظرت نحوها باستغراب لجراتها حول سؤالها لي اولا ولمعرفتها السبب الذي دفعني للقدوم الى هنا ثانيا، شربت كأسا ثالثا من الويسكي وقلت لها بعد ان طلبت كأسا آخر...

- وماذا يهمك في الامر ؟

اطلقت ضحكة مغرية وصارت تحتسي من كاس النبيذ بلذة تسر الناظرين ثم اردفت...

- يهمني كثيرا، فبُعدًا للحزن عن هذا الوجه الحسن

- لا علاقة لك بالامر وابتعدي عني

- وان لم ابتعد ؟

كانت تنظر نحوي بثقة كبيرة لم اراها في اي امراة من قبل كل شيء فيها اثار فضولي قبل اعجابي ولم اجدني الا وانا انخرط معها في الاحاديث حول شتى الميادين مع انها ليست من نوعي المفضل مثلها مثل آنا لكن لا اعلم لما استسلمت لها ورحت اجوب معها آفاقا واسعة..

- لم تخبريني عن اسمك بعد ؟؟

- أوديت شارلوك عارضة ازياء روسية، وانت ؟

- غابرييل مونتويا اخصائي نفساني اعمل في مستشفى سانتا ماريا واعد للدكتوراه ايضا حول حالة نادرة

- اووه كم هذا مثير دكتور مونتويا هل لي ان اسالك عن اسم الحالة التي تعمل عليها ؟

- بالطبع، انها بخصوص مرض عقلي نادر جدا يسبب للمرء المصاب به انفصام في الشخصية واضطرابات عقلية متنوعة

- حالة معقدة بالفعل كيف خطرت على بالك ؟

- الاحسن ان لا تطرحي المزيد من الاسئلة فنحن للتو تعارفنا آنسة أوديت.. بالمناسبة هل ميكاييلا شارلوك احد اقربائك ؟

- لا، انا لا اعرفها حضرة الطبيب غابرييل

لاحظت بعض التوتر عليها عندما سالتها عن ميكاييلا وقد شعرت ان هذه الفتاة تخفي شيئا ما اجهله بالرغم من ان اجابتها كانت بالنفي لكن واضح جدا انهما يعرفان بعضهما البعض اساسا نسبة الشبه بينهما كبيرة والاختلاف في المظهر الخارجي فقط، لم ابدي اهتماما كبيرا بالامر وقد نظرت الى ساعة يدي عندها فوجدتها الحادي عشر لقد مر الوقت سريعا ولم اشعر به بسبب انخراطي في الحديث مع هذه الغجرية، استاذنتها بالانصراف وغادرت الى البيت والتعب مسيطر علي لا افكر الا بشيء واحد وهو النوم لكني بعدها تذكرت انه يجب ان اعمل على بحثي الذي لم يبقى عليه سوى شهر فقط.

بعد وصولي الى المنزل قابلتني اصوات السكون التي كانت تنبع من الاعلى والاسفل اذ واضح ان الجميع يغط في نوم عميق ما عداي انا، غيرت وجهتي الى المطبخ لاجل اعداد كوب من القهوة اطرد به رائحة الخمر وانعش نفسي قليلا وفي طريقي الى هناك لفت انتباهي ضوء قادم من اخر الممر فقلت في نفسي ...

- هل يعقل انها توليستا ؟ غريب ليس من عادتها البقاء لوقت متاخر في المطبخ

لكن ظني قد خاب بعدما لمحت الآنسة ميكاييلا معلمة ماريا الجديدة هناك ترتدي بيجاما زهرية من الستان سروال وقميص باكمام قصيرة تعد كوبا من القهوة التي فاحت رائحتها عنان سقف المطبخ، بقيت واقفا عند الباب شارد الذهن فيها وفي تعابير وجهها الملائكية وكانها المرة الاولى التي اراها فيها لا ادري لما حركت في هذه الشابة العشرينية الآن احاسيس غريبة زعزعت حواسي الخمس انتبهت بدورها علي حيث انتفضت فزعا بطريقة مفاجئة افاقتني من سرحاني فيها ...

- انا اسفة سيد غابرييل لم اشعر بوجودك هنا

- ماذا تفعلين في هذه الساعة المتاخرة من الليل يا آنسة ميكاييلا ؟

- اعد فنجان من القهوة سيدي

كانت تتكلم وتتعلثم بسبب التوتر التي تعيشه ولكي ابعده عنها قليلا طلبت منها ان تضع لي ايضا كوب من القهوة كي اطرد بها رائحة الخمر وتاثيره علي وكذلك اردفت قائلا ..

- هل ترافقينني الى الحديقة ؟

شردت قليلا مع نفسها ربما لم تكن تتوقع مني هذا وخصوصا أنني متزوج ولدي طفلة ستشرف هي بدورها على تعليمها ولهذا لجأت إلى الصمت ولم تنبس ببنت شفة لبرهة من الزمن بعدها أومأت رأسها بالإيجاب وسارت معي في استحياء جعل وجنتيها أكثر احمرارا إلى الحديقة الخلفية للبيت حيث جلسنا القرفصاء على الارض نتسامر تحت ضوء القمر الساطع الذي يتربع على عرش الجاذبية وسط السماء الحالكة ظلمة نرتشف القهوة التي كان مذاقها لذيذا جدا أو ربما هيئ إلي وحسب لان هذه الآنسة من قامت بإعدادها، كانت ترتدي نظرات طبية ما زاد من جمالها الطفولي الذي يخطف القلوب أكثر وأكثر، وجدت ان ملامحها تشبه إلى حد كبير إلى تلك الغجرية التي صادفتها في الديسكو لكن سرعان ما أقنعت نفسي انه يستحيل أن تكون هذه وتلك قريبتان لأنهما لا يجتمعان بأي شكل من الأشكال، قاطع حبل أفكاري صوتها الناعم الرقيق وهو يتسلل إلى مسامع أذني ويحتل مخيلة راسي ..

- هل سبق وان تأملت النجوم من قبل سيد غابرييل ؟

تفاجئت كثيرا من سؤالها الذي بدا غريبا بالنسبة لي بعض الشيء فأنا أين والتأمل في السماء والنجوم أين ؟ حتى زوجتي آنا لم تكن تثير اهتمامها مثل هذه الأشياء كالنظر في السماء ليلا أو البقاء تحت المطر المشي حافية القدمين فوق الرمال الذهبية كانت انسانة مادية لا يهمها شيء سوى المتعة وعيش حياة الترف والرفاهية، سكتت هنيهة أتأمل النجوم التي تشع بنور يأسر القلوب تدور حول الكوكب الفضي في تسلسل منتظم، ربما لست من النوع الذي يهتم لهذه التفاصيل البسيطة لكن أن أجد من يشجعني عليها لهو أمر مختلف تماما شخصا يعيش حياة البساطة والعيش الرغد ولا تستهويه تلك الأمور الأخرى التي تغلف العالم بمظهر خادع زائف معرض للزوال في أي لحظة، قلت لها وأنا أرتشف من فنجان القهوة...

- هل أنت مرتبطة ؟

- لا

اكتفت بقول هذه الكلمة باقتضاب وكأنها لا تريد الحديث في هذه المواضيع كما أنني لم أشأ أن ازعجها ايضا وقد غيرت الموضوع بسرعة كي ابعد التوتر والطف الجو الذي بدا يوشك على التكهرب...

- كيف كان يومك مع ماريا ؟ هل تعرفت اليها ؟

- نعم، انها فتاة لطيفة سيدي كما اخبرتني

- صحيح تشبه عمتها كريستين

- هل لديك اخت ؟ لم اكن اعلم

- انها في اجازة الان عند صديقتها المقربة تقطن في البندقية

- فهمت

انتبهت ان حديثي عن البندقية قد ازعجها قليلا وجعل علامات الحزن تظهر على ملامح وجهها الملائكي، قلت بفضول ...

- ما الامر ؟ ا هناك خطب ما ؟

- لا، فقط لدي ذكريات خاصة في تلك المدينة

- ان لم يكن لديك مانع تستطيعين اخباري بها

- تذكرني باخر اجازة قضيتها مع عائلتي المتوفاة

- اوه، انا اسف

- لا داعي انا معتادة على هذا الوضع

مضى الوقت معها سريعا لدرجة انني لم اشعر به ابدا، حديثها معي قد اعادني الى سنوات عديدة نحو الماضي قبل ان اتعرف على آنا وقبل ان أؤسس عائلة ايضا، عفويتها وبساطتها في الكلام حركاتها التي تبدو طفولية تعابير وجهها الملائكية كل شيء كان فيها مختلف عن باقي النساء اللاتي صادفتهم في حياتي من بينهم زوجتي، لا ادري لما اشعر الان ان هذه الملاك تريد ان تخترق قفصي الصدري وصولا الى تلك العضلة التي اقسمت ان اجعلها تحت قبضة آنا وحسب، جلست معها دقائق فغيرت في داخلي كل شيء وبعثرت جميع الاحاسيس والمشاعر ...

- لقد تاخر الوقت سيد غابرييل ساخلد الى النوم تصبح على خير

ايقظتني من شرودي كعادتها بكلمة لطيفة منها ثم استاذنتني بالانصراف وهي ترتجف قليلا من نسمات عليلية قد لاعبت شعرها الاملس وجعلته يتطاير في الهواء تمشي كغزال ليبي حتى اختفت عن مرأى عيوني.

انهيت اخر رشفة من فنجان القهوة وقمت من مكاني اتجه ناحية غرفتي والنعاس قد بدا يتسلل الى داخلي بالرغم من الكافيين الذي احتسيته للتو، فتحت الباب بهدوء وتوجهت الى السرير وهنا آتاني صوت آنا التي خلت انها تغط في سبات عميق...

- هل كانت سهرة ممتعة برفقة المعلمة الجديدة ؟

- ماذا تقصدين يا آنا ؟

اعتدلت في جلستها بحركة بسيطة وشغلت ضوء مصباح الطاولة الليلية بجانبها ثم واصلت كلامها...

- لقد رايتك تجلس برفقتها في الحديقة الخلفية تتجادبان اطراف الحديث وكأنكما تعرفان بعض منذ سنوات عديدة

- انها مدرسة ماريا ولا يوجد فيها شيء مثير للشبهة عند حديثي معها

- اجل، هي مدرسة ماريا و تستطيع ان تتحدث معها، لكن في وضح النهار وبخصوص ابنتك وحسب يا غابرييل وليس في منتصف الليل ترتشفان فنجان القهوة

- اسمعيني يا آنا لا اعلم ماذا يدور في ذهنك لكن يستحسن ان تُزيليه وفورا لانه لا يوجد شيء ثم انا متعب جدا واريد ان انام فغدا لدي اعمال كثيرة

وضعت راسي على وسادتي واعطيتها بظهري كي لا افسح لها المجال لفعل اي شيء آخر كما انني اعلم ماذا يدور في راسها بخصوص الآنسة ميكاييلا واعلم ايضا انها ستحاول افتعال المشاكل بشتى الطرق كي تبعدها عني او العكس لكنها لا تعلم انني دائما ما اسبقها بخطوة ولن اسمح لها ان تتطاول على اي شخص يعيش تحت سقف هذا البيت.

رن المنبه على السادسة والنصف صباحا ما دفعني لاقوم بايقافه حركة خاطفة قبل ان يوقظ آنا التي كانت تغط في نوم عميق، فركت عيني اطرد النعاس عني خصوصا انني نمت لساعة متاخرة بالامس ولم تكن تلك من عادتي، قمت من فراشي بتثاقل كبير اتجه الى الحمام كي انعش نفسي بماءه الساخن واريح اعصابي قليلا، لا اعلم لما سرحت لحظتها في تلك الابتسامة البريئة وتلك النظرات العفوية تحت النظارات حركاتها الطفولية لم تغب ولو للحظة عن بالي هل يعقل انني ببداية حبي لها ؟ لا، لا يمكن ابدا فانا متزوج ولدي طفلة وبالرغم من ان زوجتي آنا انسانة متكبرة وانانية لا تفكر الا بنفسها الا انني قد وعدتها ان احافظ عليها وعلى علاقتنا وان ابقى احبها الى الابد، علي ان اطرد هذه الافكار الشيطانية من مخيلتي ويجب ان اتعامل مع ميكاييلا على انها ضيفة وحسب ستغادر المنزل فور ان تنتهي من مهمتها بتدريس ابنتي ماريا ولن اسمح لمشاعري ان تفسد كل شيء وتلخبط الوسط. انهيت حمامي الذي دام ربع ساعة بعدها ارتديت ثيابي وحملت حقيبتي اغادر الغرفة نحو غرفة الطعام لاجل فطور الصباح، صادفت توليستا عند اسفل الدرج وهي تحمل ابريق العصير تتجه به الى الخارج تحديدا الى الحديقة الخلفية استوقفتها وانا اسالها اين تتجه بالشيء الذي تحمله بين يديها لكنها فاجاتني انها اعدت مائدة الافطار في الحديقة بطلب من ميكاييلا بحكم ان الجو رائع هذا اليوم ما زاد من استغرابي اكثر وقبل ان انطق معها اتاني صوت مريانا والدة زوجتي من الخلف و هي تنزل الدرج...

- ان هذه الفتاة تتصرف من راسها وكانها سيدة المنزل عليك ان تضع حدا لها يا غابرييل فهي بالنهاية مدرسة ماريا وحسب

لم اشأ ان ادخل معها في نقاشات بيزنطية لا طائل منها خصوصا انها مثلها مثل ابنتها آنا لا تعترف بالخطا ابدا وساهدر وقتي معها لا اكثر لهذا اكتفيت بقول كلمتين اجل معك حق كي اغلق الموضوع قبل ان يبدا ثم توجهت الى الحديقة حيث استقبلتني ماريا بالاحضان تنهال علي بالقبلات الصباحية التي اتخدتها عادة لها اتحاشى بدوري النظر الى الآنسة ميكاييلا كي لا اقع في غرام عينيها الزمردية، بعدما انهت ماريا عملها الصباحي معي القت التحية على جدتها التي خلطت الى المكان ورائي وجلس كل واحد مكانه نتناول فطور الصباح في

ابتهاج اسري ايطالي سخي لم يكن ينقصه سوى شقيقتي الصغرى كريستين فزوجتي آنا ليست من النوع الذي يستيقظ باكرا كما انها لا تحبذ مثل هذه الاجواء العائلية فقط تمضي معظم وقتها في التسوق والاعتناء بمظهرها وامضاء وقت مع الاصدقاء لاجل المتعة والتسلية وهذا احد اهم الاسباب التي فتحت فجوة عميقة بيننا تولد عنها كثرة المشاجرات والمشاحنات ما نجم عنه دخول ماريا في اكتئاب نتيجة تكهرب الجو العائلي الذي تعيش داخله ما دفعها لتغيب عن المدرسة وما دفعني انا لاحضار مدرسة خصوصية لها لاستدراك ما فاتها من الدروس...

- ابي لقد اتفقت انا والآنسة ميكاييلا ان نباشر بالدروس بعد الفطور وثم بعد الظهيرة، ما رايك ؟

فور سماعي لاسم ميكاييلا شعرت بدقات قلبي تخفق بسرعة كبيرة حتى انني كدت ان اسقط السكين من يدي خصوصا عندما تلاقت عيوني بتلك الملامح التي هي ترياق سحري لكل المشاكل والاحزان، يا الهي انني فعلا في طريقي لعشق هذا الملاك السماوي المتمثل في هيئة بشرية والمشكلة انه لابد من وضع حد فعليا كي اتخلص من هذه المشاعر واطفائها قبل ان يحدث لهيبها ثورة في الوسط، افقت من شرودي على صوت ماريا وهي تعيد علي نفس السؤال بنبرة طفولية ممزوجة ببعض الحيرة حول سرحاني هذا...

- انني معك يا حلوتي.. لا مانع عندي تستطيع الآنسة ميكاييلا ان تفعل ما تراه مناسبا بخصوص جدول سير دروسك المهم عندي ان تتداركي ما فاتك وتلتحقي بالاعدادي مثل اقرانك

- لا تقلق سيد غابرييل اعدك انني سافعل اللازم بخصوص هذا ولن تكون الا راضيا بالامر

اتاني صوتها العذب كعذوبة الكوثر الرقراق ليتغلغل داخل نواميس ذاتي ويغوص فيها كما يحلو له ولم اجدني الا وانا التفت ناحها وابتسم معها لاراديا وكأنني مسلوب العقل تماما متجاهلا نظرات الشك في عيني مريانا ...

- عمتي كريس هنا ؟ .. لا اصدق هذا

صوت ماريا وهي ترى شقيقتي كريستين تتجه نحونا هو ما ايقظني من شرودي حيث حمدت الرب على هذا التوقيت كي اتدارك نفسي ولا انجرف اكثر فاكثر فأثير الشبهات فقط

- ما اخبارك يا حلوتي لقد اشتقت اليك كثيرا

- وانا ايضا عمتي كريس لقد اطلت الغياب عنا هذه المرة

- انا اسفة حبيبتي اعدك انني لن افعلها مجددا

- تعالي معي اريد ان اعرفك على معلمتي الجديدة ميكاييلا شارلوك اتت يوم امس فقط وسنبدا بالدرس اليوم

تقدمت شقيقتي كريستين مني وهي تحمل ماريا بين ذراعيها لاشتياقها لها ثم طبعت قبلة خفيفة على وجنتي مصحوبة بالقاء التحية على مريانا وميكاييلا التي بادرتها نفس الشيء بدورها بابتسامتها المعهودة، نظرت الى ساعة يدي لاجدها قد قاربت على الثامنة قمت من مكاني بسرعة واستاذنت من الجميع لاذهب الى المشفى بسرعة كي الحق على اول موعد لي.

***

ميكاييلا

أنهيت فطور الصباح رفقة عائلة مونتويا التي أشعرتني بدفئ العائلة الحقيقي، بعدما فقدته مع الحادث الأليم الذي دمر حياتي رأسا على عقب، خصوصا عندما انضمت إلينا شقيقة السيد غابرييل، والتي وجدت فيها بعضا من المرح والنشاط،كنت أراه في شقيقتي انا عندما كنا في ريعان الطفولة، تلك اللحظة شعرت بصداع رهيب وأنا أتذكر صورة أختي تمر من أمامي في شريط متسلسل، وصار قلبي يخفق بصورة رهيبة ينبأ بحدوث شيء الآن أخاف انتبهت السيدة آنا صوفيا معي التي انضمت إلينا بعد خروج زوجها بثواني .. ظهوره معدودة وقالت بنبرة شك...

هل انت بخير آنسة ميكاييلا ؟؟ -

أجل سيدتي فقط صداع طفيف وسيزول -

ربما لقلة النوم، يبدو أنك تحبين السهر لساعات متأخرة ؟ -

كانت تتكلم معي بلهجة مخيفة وترمقني بنظرات نارية وراءها أشياء خطيرة، ومعاني جمة استطيع أن أحزر بعضها، من المؤكد أنها رأتنا أمس أنا، والسيد غابرييل ولهذا تتكلم معي بهذه الطريقة، واضح أنها امراة خطيرة، وأنا لن أقدر عليها، ولهذا يجب أن أحافظ على مسافتي مع السيد مونتويا حتى انهي مهمتي وأعود إلى سانت لويس، استاذنت من الجميع

بالانصراف وغادرت رفقة ماريا إلى غرفة الطعام التي كانت تابعة لغرفة المعيشة في طراز ايطالي،، باهر كنت مستعدة أن أبذل قصارى جهدي لأجل إنهاء مهمتي باسرع وقت ممكن قبل أن تحدث مشكلة أنا في غنى عنها،،،ولا سيما اذا انكشف سري الذي لم اطلعه على أحد حتى الآن وما كنت أخافه أكثر هو السيد غابرييل الذي وجدت نفسي انجرف وراء مشاعر تجاهه لم أحسب لها أي حساب، فبالنهاية هو شخص متزوج ولديه ابنة ولن اتوقع أن يحدث اي شيء بيننا اطلاقا، كما أن زوجته بدات تشك بي وواضح أنها ستقف بالمرصاد في وجهي ومع أنها لا تناسب شخصا مثل السيد مونتويا طيب القلب ووفي في علاقته ولا تستحق أن تكون اما لماريا لكنها تبقى سيدة البيت ولا يحق لأي أحد الدخول بينها وبين زوجها.

لم يسبق لي وأن شعرت تجاه شخص ما هكذا حتى خطيبي السابق الذي خانني مع أعز صديقة لي لم اكن استلطفه كثيرا مثلما استلطفت السيد غابرييل مع أنه اول لقاء بيننا كان جافا بعض الشيء وجعلني اعتقد بحقه أنه انسان بارد دون مشاعر لكن بعد شجاره مع زوجته أدركت سبب ذلك الجفاء، والسبب الذي اودع بماريا للتغيب عن مدرستها، احيانا اختيار الشخص الخطا يكلفنا حياتنا مع الأسف والذي يدفع الثمن هم الأطفال وحسب لأن المجروح من اهله لا يشفى ابدا...

- آنسة ميكابيلا ما رايك باجابتي ؟

انتبهت مع الصوت الصغيرة وهي تريني اجوبتها بخصوص مسالة رياضية كنت قد طلبت منها حلها والحقيقة لم اتفاجأ ابدا فهي تبدو ذكية من النظرة الاولى مثل ابيها تمام..

- جيد ماريا ... احسنت

- سمعت انك معلمة في مدرسة سانت لويس الداخلية ؟

- نعم هذا صحيح

- ا تعلمين ؟ اريد ان التحق بها ايضا

- لكنها بعيدة عن بورتا رومانا عزيزتي ولا اخال ان اباك وامك سيسمحان لك بارتيادها

- لا يهمني راي والداي اساسا هما منشغلين دائما بمشاكلهما التي لا تنتهي ابدا على مدار الساعة

كنت ارى علامات الحزن في عيني الصغيرة وهي تتحدث عن الجو المكهرب الذي تعيش داخله بسبب مشاحنات اهلها ما خلق في نفسها الشعور بالاكتئاب لدرجة انها تفكر ان تهرب بروحها لابعد نقطة في المدى فقط كي لا تشهد شجارات والديها

- كيف هي علاقتك مع امك ؟

- ليست كاي علاقة ام بابنتها دائما اراها بعيدة عني لا تهتم لامري ولا تسمعني ابدا عندما اود البوح لها باسراري ويومياتي مع صديقاتي فقط عمتي كريس وابي احيانا عندما لا يكون مشغولا من يصغون الي

ترقرقت عيناها بالدموع وتوقفت عن الكلام الذي بات ثقيلا على الخروج منها ولم اجدني الا وانا اخدها بالاحضان اهدا من روعها احاول مواساتها بشيء من الحب والعاطفة التي ربما تكون تفتقدها جراء نرجسية امها...

- يخال الي انه هناك اشياء تحدث ها هنا واريد معرفتها

ابتعدت قليلا عن ماريا بعد سماعي لصوت السيدة آنا صوفيا التي كانت ترمقني بنظرات نارية بامكانها احراق قارة اوربا باكملها، تنحنت قليلا ثم اردفت نحوها احاول ترتيب نظارتي الطبية....

- لا يوجد شيء سيدتي فقط كنا ندردش انا والسيدة ماريا قبل ان نعود الى الدرس

- ماريا لقد حان موعد غداء دياغو الآن انه في انتظارك عزيزتي

غادرت ماريا بسرعة بامر من والدتها نحو كلبها دياغو الصغير الذي سبق وصادفته يخلد في النوم عند قدومي امس امام النافورة تاركة اياي بمفردي مع هذه الشيطانة التي صارت تتقدم ناحيتي بخطى بطيئة ترتدي فستانا زهري يصل حتى ركبتيها باكمام قصيرة له حزام اسود من الدانتيل عند الخصر...

- اين كنت امس في حدود الساعة العاشرة والنصف تقريبا ؟

فاجاني سؤالها ولم يخطر ببالي ابدا انها ستسالني اياه اذ اكل القط لساني لحظتها ولم اعرف بماذا اجيبها سكتت برهة زمنية ثم قلت بتعلثم بدا واضحا جدا علي ولم افلح في اخفائه..

- لقد كنت في الحديقة سيدتي

- انت تكذبين

- ولما قد اكذب عليك

- لقد فتشت عليك في كل مكان ولم اجدك

- ولكن لما ؟

- لا تجيبي على سؤالي بسؤال آخر واخبريني اين كنت ؟

- صدقيني كنت في الحديقة استنشق بعض الهواء

- يبدو انك تحبذين فعل هذه الاشياء يا ميكابيلا، لا اعلم لما اشعر ان ورائك سر ما ويجب علي معرفته الآن

- لا يوجد اي شيء سيدة آنا صوفيا ولا اخفي اي سر عليك

- ظاهرك ملاك لكن في داخلك شيطان لا نعلم متى يخرج ومتى يختفي اعدك انني ساكشف امرك امام الجميع ايتها المعلمة

- لا يوجد اي شيء من الذي قلته وارجوك دعيني وشاني سيدة مونتويا

غادرتها بسرعة وانا واثقة انها لم تقتنع بكلامي وما كنت اخافه اكثر ان تبقى وراء الموضوع وتصدق حدسها من ناحيتي فاقع بعدها انا في خبر كان.

***

مضت ثلاثة ايام منذ قدومي الى بيت السيد مونتويا لكن بالنسبة لي وكأنها ثلاثة أشهر او سنوات وذلك كله بسبب خوفي من السيدة آنا صوفيا التي لم تترك ياقتي ابدا من اليوم الاول ظنا منها انني اخفي سرا ما عليهم والحقيقة هي ليست مخطئة في اعتقادها لانني بالفعل أكن سرا خطيرا في داخلي لا ادري كيف ستكون نهايتي اذا انكشف كنت قد بدات افكر ان افتح الموضوع مع السيد غابرييل لانني على ثقة انه سيساعدني ويفعل كل ما بوسعه لاجل الامر لكن كان في داخلي بعض من التردد خشية ان لا يصدقني القول او يظنني مجنونة اقول خزعبلات لا اساس لها من الصحة، كنت انظر الى السماء الصافية من شرفة غرفتي اتامل تلك الغيوم الرمادية التي تتحرك ببطئ لتحجب عنا الشمس التي على وشك المغيب مودعة هذا اليوم الحافل بالاحداث والمغامرات، تنهدت بآسى اعيد الستائر الارجوانية مكانها بعدما اسندتها قليلا عن النافذة ورحت اجلس فوق سريري اعود بذاكرتي الى الماضي السحيق عندما قمت برحلة ولا بالاحلام الى جبال الالب الايطالية برفقة عائلتي التي دامت اسبوعا كاملا قضينا فيه اجمل الاوقات معا مخلفين بعدها تذكارا لا ينسى على مر الزمان انني فعلا

احن الى تلك الايام الجميلة يا ليتني انا ايضا الحق باهلي وافتك من الوضع الذي اعيش فيه قرابة خمس سنوات والذي لم اجد له علاج لحد يومنا هذا.

كنت ممددة على السرير عندما سمعت صوتا جهوريا قادم من الاسفل بين السيد غابرييل وزوجته آنا صوفيا يتشاجران بحدة هذه المرة تختلف عن الايام الفارطة قمت من مكاني في عجل وفتحت الباب بهدوء امشي على اطراف اصابعي كي لا الفت الانتباه وهناك لمحت ماريا في حالة يرثى لها تجلس على حافة الدرج تضم دراعيها الى صدرها وتضع راسها فوق ركبتيها تبكي في صمت مرير وراءه حزن لا يمكن للمرء ان يشعر به الا من ذاق مرارة طعمه، ركضت اليها بسرعة واخذتها الى حضني اربت على خصلات شعرها الاشقر الاملس بكل حب وحنان احاول قدر المستطاع ان انسيها ما يحدث على مرأى عينيها فجاة شعرت بصداع كبير وقد بدا كل شيء يتغير من حولي 360 درجة ولم اجدني الا وانا ابتسم مع نفسي تلك الابتسامة المخيفة التي تنبأ باقتراب حدوث اشياء خطيرة جدا لا تستحوذني الا فكرة واحدة وهي اقصاء آنا صوفيا من حياة السيد غابرييل والصغيرة ماريا..انتبهت مع صوت ماريانا وهي تنده على حفيدتها بنوع من الصراخ والعتاب لرؤيتها بجانبي في ذلك الوضع حيث قامت الصغيرة من مكانها تبعتد عني واتجهت حيث جدتها وعينيها تشهد حالة من الاحمرار بسبب كمية الدموع التي ذرفتها. هدأت العاصفة التي كانت تحدث في الوسط ويبدو ان السيد مونتويا قد غادر المكان كما يفعل دائما بعد كل شجار لكني تفاجئت بحدوث العكس عند وصول رسالة على هاتفي منه مفادها ان اذهب اليه في الحديقة الخلفية عند نفس المكان الذي جلسنا فيه اول مرة .. شعرت بدقات قلبي تخفق بسرعة كبيرة من التوتر الذي علا ملامح وجهي لكن في نفس الوقت تملكتني سعادة عارمة بسبب طلبه في رؤيتي مع انني اجهل الدافع وراء ذلك، بسرعة ركضت في فتور كطفلة صغيرة متلهفة لرؤية ابيها بعد غياب طويل وفور وصولي وجدته يجلس القرفصاء على الاض وعلامات الحزن بادية على وجهه جراء ما حصل قبل قليل تقدمت منه بخطى بطيئة احاول ترتيب الكلمات في داخلي ولا سيما انني لست معتادة على مواساة اي احد في محنة كهذه..

- كيف حال ماريا ؟ انا واثق انها منهارة الآن بسبب ما حدث ؟؟

قلت له وانا ابعد نظري عنه الى السماء اتحاشى بدوري نظراته الي...

- مع الاسف في حالة يرثى لها ، انها مع جدتها ماريانا الآن

- كنت اعلم هذا .. لقد تعبت بالفعل من هذا الوضع ماذا عساي افعل يا ميكابيلا ؟

جلست القرفصاء بجانبه اشعر بالآسى عليه بالفعل فهو لا يستحق كل ما يعيشه بسبب عجرفة زوجته الانانية لكن ما باليد حيلة سوى الصبر ريثما ياتي الفرج ..

- صدقني لا اعلم ماذا اقول لك سيد غابرييل انت الطبيب النفسي ولست انا

- اجل معك حق في هذا بالرغم من انني اخصائي نفساني ودائما ما اجد الحلول للناس الا انني بالفعل عاجز الان عن حل مشكلتي

- لا تقلق انا واثقة ان كل شيء سيكون بخير وستعثر يوما ما على نصفك الحقيقي الذي يكون لك السند والعون بدل ان يجعل الامور اكثر تعقيدا عليك

- انني اتمنى هذا بالفعل يا ميكاييلا

نظر الي لحظتها بنظرات غريبة لم افهم مغزاها اذ جعلت قلبي الصغير يتطاير في السماء لا ادري ان كان من شدة الفرح ام من شدة الاعجاب ام من شدة شيء اخر المهم انني شعرت في تلك الثانية ان الارض تدور من حولي وقد تمنيت ان يتوقف الزمن الى الابد وابقى بجانب السيد غابرييل حياتي كلها لكن فجاة تذكرت مشكلتي وانه من المستحيل ان يحدث شيء بيني وبينه وقد خمنت ان ابوح له لحظتها بكل الخفايا والاسرار التي في جعبتي لكن خوفي من ردة فعله جعلني اصمت لادفع ثمن صمتي غاليا بعدها.

***

غابرييل

انهيت دوامي باكرا اليوم بسبب الارهاق الذي شعرت به جراء المشاحنات المستمرة بيني وبين آنا وقد طلبت من مساعدتي في العمل ليزا ان تلغي جميع المواعيد المتبقية وتؤجلها الى اشعار لاحق، حلمت حقيبتي الجلدية السوداء وتوجهت الى موقف السيارات وهناك

صادفت صديقي المقرب ليونيل برفقة الاستاذ سانتياغو المشرف على مذاكرتي لاجل التحضير للدوكتوراه، لم اكن في مزاج جيد لاتحدث مع اي احد لكن بالمقابل ايضا لم استطيع تجاهلهما وكان بدا من ان القي التحية التي بادرني فيها اولا ليونيل بشيء من المرح كما عادته ...

- الى اين ايها الطبيب مونتويا

- اهلا ليو كيف حالك ؟ وكيف كان المؤتمر في روما ؟

- كان رائعا جدا برفقة الاستاذ سانتياغو

التفت عليه لحظتها وقلت بمرح مصطنع..

- كما هو متوقع منك ايها الاستاذ

قال ..

- الا تعرف صديقك كيف يضخم الامور يا غابرييل ؟ .. المهم اين وصلت في مذاكرتك هل من تطورات ؟

- بصراحة نعم لقد كنت انوي ان اكلمك غدا بهذا الخصوص لانني اليوم متعب قليلا، ما رايك ؟

- لا مانع عندي يا سيد مونتويا لا تنسى انه لم يبقى لديك سوى شهر فقط

- لا تقلق عليه استاذ، ان غابرييل عبقري جدا عندما يتعلق الامر بالتحاليل النفسية والاضطرابات العقلية

قالها ليونيل بنبرة من المرح ممزوجة ببعض الجدية فهو صديقي الوحيد وكاتم اسراري ويعرف ادق التفاصيل بخصوصي كما ان زوجته سارة تعد صديقة لزوجتي آنا لكن ليست مقربة منها كثيرا لاختلاف في شخصياتهما، بعض مضي دقائق استأذنتهما بالانصراف وادرت مقود سيارة الجيب خاصتني اتجه الى البيت كي انعم بقسط من الراحة احلم بها منذ اول موعد لي في المشفى.

فور وصولي طلبت من لويك البواب وسائق العائلة ان يركن السيارة في مكانها الخاص وتوجهت بعدها الى الداخل عين مغلقة والاخرى مفتوحة.. فجاة توقفت مكاني عندما لمحت شقيقتي كريستين تجلس محاذاة الآنسة ميكاييلا فوق الارجوحة في الحديقة الخاصة بالمنزل كنت قد شعرت بدقات قلبي تتسارع بصورة رهيبة اتذكر حديثي معها امس ومواساتها لي مع انني قررت من قبل ان اتجاهل الامر ولكن يبدو انني سافشل وساقع في حب المعلمة نهاية المطاف، غيرت وجهتي تلقائيا الى حيث يجلسان وتقدمت نحوهما ببطئ اتامل ميكاييلا التي اخدتني حركاتها تلك شغفا وهياما وقد انتبهت بدورها علي واعتدلت في جلستها في استحياء بدا واضحا جدا ...

- كريس اراك قد وجدت صديقة جديدة

- اخي متى اتيت لم اشعر بك ؟

- الآن فقط

- جيد كيف كان يومك ؟

- لا باس به فقط اعاني من بعض الصداع

- سلامتك، ساذهب واحضر لك مسكنا للالم

- لا داعي عزيزتي استطيع فعل ذلك

غادرت كريستين دون ان تستمع لي فهي عنيدة كعادتها دائما وقد اخدت عنادها ذاك وراثة عن امي رحمها الله ولهذا تفعل كل يمليه عليها عقلها ولا تستجيب لاي احد كان، نظرت الى ميكاييلا وجدتها تعبث بهاتفها وعلامات الحزن بادية على وجهها اذ اجتاحني فضول شديد قد انهش تفكيري حول ما حل بها ودون اي تردد سالتها استفسر عن الامر ...

- هل انت بخير آنسة ميكاييلا ؟ تبدين حزينة

- لا يوجد شيء سيد غابرييل فقط احن الى طلابي في المدرسة الداخلية

- فهمت، الست سعيدة بوجودك هنا ؟

- لا.. لم اقصد هذا صدقني

- لا تقلقي انها فترة مؤقتة وستعودين الى سانت لويس بعدها

- اعلم هذا ... سيد غابرييل اريد منك شيئا ؟

- اجل، تفضلي

كانت مترددة قليلا في الشيء الذي تريد اخباري كما حدث ليلة مشاجرتي مع آنا تماما وقد ايقنت انها حتما تعاني من مشكلة ما وتخجل في اخباري بها فبالنهاية انا طبيب نفسي واستطيع قراءة المرء من عينيه فقط..

- ا لن تخبريني بمشكلتك يا آنسة ميكاييلا ؟

- بصراحة لا ادري كيف ابدا بها يا سيد غابرييل

- لا تخافي تستطيعين اخباري باي شيء يضايقك لقد قلت لك من قبل انه اذا تطرات لاي مشكلة ان لا تترددي في طلب المساعدة ؟

- اجل، اتذكر هذا

- اذا ..

وقبل ان تنطق مرة اخرى قاطعتنا كريستين وهي تحمل كاسا من الماء بين يديها وقرصا ابيض من الباندول ناولتني اياه في عجل والتوتر بادي على وجهها خوفا علي فانا عائلتها الوحيدة منذ وفاة والدينا ولا تتحمل اصابتي باي اذى حتى عندما ترى معاملة آنا تجاهي تصاب الانزعاج الشديد من الامر، بعد ان اخدت الدواء غادرتهما اتجه الى غرفة المكتب وعقلي كله منشغل بالامر الذي كانت ستقوله لي ميكاييلا ولا ادري لما خطرت على بالي تلك الروسية الغجرية التي تشبهها بصورة غير متوقعة وكانها شقيقتها التوام، هل يعقل ان للامر علاقة بها يا ترى ؟؟ و لكن كيف يمكن هذا لقد سالتها من قبل وقالت لي انها لا تعرف ميكاييلا كما ان الاخرى اخبرتني ان اهلها ماتوا بحادث مؤلم عندما كانوا عائدين من البندقية اذا ما القصة وما الصلة التي تربط تلك الشيطان بذاك الملاك ؟ كنت اتسائل بيني وبين نفسي وانا اجوب الغرفة ذهابا وايابا لكن لا اتمكن من الوصول الى اي نتيجة، فجاة فتح الباب بطريقة عشوائية وقاطع حبل افكاري.. نظرت ناحيته لاجدها آنا ترمقني بنظراتها النارية المعتادة..

- لما لم تخبرني انك اتيت ؟

- ومنذ متى افعل ذلك ؟

- ربما قبل مجيئ الآنسة ميكاييلا بايام قليلة او بيوم فقط

- ماذا تريدين يا آنا

- انه بخصوصها ... الآنسة المحترمة

- وماذا بها ؟

- لقد لاحظت عليها منذ قدومها اول يوم انها تختفي ليلا في حدود الساعة العاشرة، العاشرة والنصف وانا اشك انها تخفي علينا سرا ما

- وانى لك علم انت باختفائها ؟ هل كنت تراقبينها ؟

- انها مدرسة ابنتي ومن واجبي ان اتحرى عنها واراقب تصرفاتها يا غابرييل ثم ما الذي يقلقك بالامر المفروض ان تضع حدا لاختفائها المفجائ كل ليلة ..لها اسبوع كامل وهي عندنا ا لم تلاحظ عليها شيئا غريبا ؟

- لا، لم الاحظ

- جيد اذا شكوكي في محلها بخصوصك

- ماذا تقصدين ؟ تكلمي بوضوح

- لا شيء المهم انا اخبرتك بحدسي بشان الآنسة ميكاييلا وانت حر بتدابيرك

كانت على وشك ان تغادر لكنها توقفت فجاة وكانها تذكرت امرا ما واستدارت ناحيتي من جديد وقالت ..

- صحيح.. اخبرتني العصفورة انك قضيت ليلة جميلة برفقة شابة روسية في ديسكو لودي

- دعيني اخمن ان تلك العصفورة هي جيسيكا صديقتك

- اذا الخبر صحيح سيد غابرييل ؟؟ من تلك الروسية وما سبب رفقتك معها ؟

- لا علاقة لك بالامر واياك ان تختبري صبري اكثر يا آنا لانه ليس لصالحك كما ان علاقتنا تدهورت منذ اشهر عديدة وتعلمين المذنب بالامر

- تريد ان تحملني كل شيء ؟

- ارجوك اريد ان ابقى بمفردي غادري حالا ولا تدعيني اتخد اجراءات صارمة بخصوصك

- حسنا... سنتواجه يا غابرييل وان علمت انك تخونني فتاكد انني لن اغفر لك

اغلقت الباب خلفها بكل عنفوانية تاركة اياي في متاهة كبيرة بخصوص الشيء الذي اخبرتني اياه عن اختفاء ميكاييلا كل ليلة في حدود الساعة العاشرة والنصف وهو نفس الوقت الذي تظهر فيه اوديت في الحانة بتلك الملابس المغرية كنت على شفا حفرة من اربط الاحداث ببعضها البعض لكني لم اشا ان استعجل في الامر وقررت ان اذهب الليلة الى الديسكو لاقطع الشك باليقين واتاكد ان كانت شكوكي صحيحة ام لا.

حل المساء وقاربت الساعة من التاسعة والنصف حيث توجهت الى غرفة ماريا اسالها عن دروسها الى اين وصلت قبل ان اغادر البيت والتي استقبلتني بشيء من البرود بسبب شجاري انا وامها المستمر الذي بات يزعجها كثيرا، ثم القيت نظرة خاطفة على غرفة ميكاييلا فوجدتها تغط في نوم عميق ايضا ولم اشا ان ازعجها لهذا اغلقت الباب بهدوء كي لا تشعر بي، ثم توجهت الى الديسكو في شارع لودي وانا آمل ان يحدث ما خططت له كان المكان صاخب جدا باصوات الموسيقى التي تصم الآذان ومع هذا توجهت الى حيث رف النبيذ اطلب كاسا من الويسكي واجول بعيناي ابحث عن مرادي.

لم البث مكاني كثيرا حتى لمحتها تتجه ناحيتي تبتسم على بعد الاف الكيلوميترات ترتدي تبان من الجينز عليه علامة تجارية عالمية وقميص ارجواني بدون اكمام له فتحة عند الصدر وازرار تزين واجهته تتمايل بحذائها ذو الكعب العالي حتى صارت قبالتي ..

- كيف حال الطبيب مونتويا اليوم ؟

جلست بجانبي وطلبت لها كاسا من النبيذ الاحمر بعد ان القت التحية ثم اردفت مجددا ..

- هل تشجارت مع زوجتك اللية ايضا ؟

قلت وانا ارتشف من كاس الويسكي دفعة واحدة ..

- تبدين جميلة اليوم

ابتسمت ابتسامة مغرية تحمل كاس النبيذ الاحمر بين يديها وقالت ...

- هذا من لطفك

- اخبريني يا اوديت هل عائلتك تقطن هنا ؟

- ولما تسال ؟

- فقط مجرد فضول هل ازعجك سؤالي ؟

- لا، لكني لا احب الحديث عن عائلتي

كنت ارى التوتر بادي على وجهها بكل وضوح عندما سالتها عن عائلتها لكني لم ارد ان اتعمق معها اكثر خشية ان تشك بما انوي الاقدام عليه..

- اخبريني عن حياتك قليلا هل سبق و ان وقعت في الحب ؟

- انا لا اؤمن بهذه التفاهات حضرة الطبيب مونتويا لانني اذا اردت الحصول على شيء افعل المستحيل كي اصل عليه

- لدرجة انك تقتلين ؟؟

- اجل.. ان اضطر الامر افسك الدماء كي ابلغ مرادي

- اذا سبق وفعلتها من قبل بما انك تتكلمين بثقة ؟

- ربما من يدري يا سيد مونتويا

كنت اشعر انني اجلس مع شيطان الان متنكر في هيئة بشرية لدرجة ان الخوف بدا يتسلل الى داخل قلبي خشية ان اضطرها لفعل اشياء خطيرة دون رغبة مني ولهذا قررت بيني وبين نفسي ان لا اقابلها مجددا لانه من المستحيل ان تجتمع هذه الغجرية الروسية وميكاييلا باي شكل من الاشكال فالفرق واضح تماما بينهما فهذه بالفعل شيطان اما الاخرى فلا يمكن القول عنها سوى ملاك نزل من السماء، كنت انوي ان ارتشف اخر كاس من الويسكي واغادر الديسكو لكن قدوم آنا وهي تداهم المكان بطريقة عنفوانية قد قلب جميع الموازين ولا سيما عندما امسكت بشعر اوديت وصارتا تتشاجران وتشتمان بعضهما البعض امام الملا لدرجة ان الجميع انضم لمشاهدة المسرحية التي تحدث الآن لم اكن اعلم ان آنا ستتعقبني الى هنا لتتاكد ان كنت اخونها ام لا وقد فعلتها كما توعدت لي من قبل، امسكتها من دراعيها بقوة ابعدها عن الروسية التي لم تتوقف بدورها عن الدفاع عن نفسها اخرجها من الحانة وانا اصرخ عليها ان تتوقف وتهدا قليلا كي اشرح لها الامر لكنها لم تعطيني فرصة ابدا بل صفعتني صفعة مدوية جعلت الدماء تفور في جسدي وغادرتني بسرعة تقود السيارة بسرعة جنونية، لحقت بها امتطي سيارة الجيب وانا خائف ان تتعرض لحادث سيارة فاكون السبب في وفاتها لكني لم اتمكن من ادراكها اذ سبقتني الى البيت بربع ساعة.

فتحت باب البيت وركضت الى الغرفة كي احاول الحديث معها من جديد لكن شقيقتي كريستين استوقفتني عند الدرج تستفسر عن سبب ثوران آنا منذ قدومها الى البيت بطريقة غريبة وكانها شهدت على حادثة ما ...

- ارجوك لا تسالي يا كريس

- ما الامر يا اخي ولما آنا في هذه الحالة ؟

- لقد راتني في الديسكو مع شابة روسية وقامت بافتعال مشكلة كبيرة

- قلت شابة روسية ؟؟ ماذا ذهاك غابرييل هل حقا تخون زوجة اخي ؟

- ليس الامر كما تظنين يا كريس ساشرح لك لاحقا لكن دعيني الآن اتكلم مع آنا واصحح سوء الفهم

وقبل ان انهي كلامي تناهى الى سمعنا صرخة قوية قادمة من الطابق الاخير تعود الى آنا حيث ركضنا بسرعة انا وكريستين لنرى في امرها تحديدا الى غرفة ميكاييلا، فتحت الباب في عجل وهناك كانت المفاجاة كبيرة جدا وانا ارى آنا صوفيا جثة هامدة على الارض غارقة في دمائها بسبب ضربة على مستوى القلب واوديت تقف امامها تحمل سكينا صغيرا تنظر نحونا ببلاهة تلك اللحظة شعرت وكان الارض تدور من حولي لم استطع ان افقه اي شيء يحدث امامي او حتى وجود الروسية هنا في غرفة ميكاييلا و زوجتي ممددة عند قديمها، بسرعة ركضت اليها ارى في امرها ان كانت على قيد الحياة ام لا لكن مع الاسف قد لفظت انفاسها الاخيرة وامام عيني، التفت على الشابة الغجرية وصرخت فيها بكل غضب ...

- ماذا دهاك يا اوديت ؟ وكيف اتيت الى هنا ؟

- هي من بدات بالاول لقد كانت تعبث باغراضي وتفتش فيها ثم ارادت قتلي هي بالاول فدافعت عن نفسي

- قلت وجدتها تفتش باغراضك ؟؟

كانت تنوي الهرب من الغرفة لكني امسكت بها قبل ان تخطو نحو الباب احاول ان أُهدا من روعها اذ كانت تتخبط كي تفلت نفسها مني وفي تلك اللحظة سقط شعرها المستعار منها ليظهر مكانه شعر املس تسمرت انا مكاني ونظرت الى شقيقتي التي كانت تبادلني نفس النظرات وهي تذرف الدموع على موت زوجتي ..

- ا هذه انت ميكاييلا ؟؟ .... لا اصدق

شيئا فشيئا بدات تعود الى حالتها الطبيعية تنظر ببلاهة الي ومن حولها حتى وقعت عيناها على جثة آنا الممددة على الارض وصرخت بقوة غير مصدقة ان هذا من فعل يديها اقتربت منها وهي ترتجف بخوف شديد وهلع وقالت ...

- هل حقا انا من فعلت هذا ؟؟ اجيباني ارجوكما ؟

تلك اللحظة لم ادري ما اقوله فهذه اول مرة ارى فيها حالة كهذه بالرغم من انني اعمل عليها منذ اربع سنوات لكن ان اصادف مثلها على ارض الواقع شيء مختلف تماما.. امسكت بها من ذراعيها وقلت احاول ان اهدا من روعها قليلا ...

- اهدئ يا ميكاييلا لست انت من قتل آنا بل الشابة الروسية اوديت هي من فعلت ذلك فلا تلومي نفسك ارجوك

- كيف لست انا من فعلها يا غابرييل ؟ لقد قتلتها بهذين اليدين ... انا من قتلها ... انا من قتلها

دخلت ميكاييلا في حالة من الصرع الداخلي بخصوص ما اقترفته يداها تحت سيطرة الشخصية الشيطانية اوديت وبات الامر واضحا الان عن سبب اختفائها المفاجئ كل ليلة طلبت من كريستين ان تاخدها الى الغرفة الاخرى وتبقى معها ريثما تهدا اما انا فقد حملت جثة زوجتي المتوفاة ووضعتها فوق السرير انظر اليها للنظرة الاخيرة استعيد الايام الجميلة التي جمعتنا معا، صحيح ان حبنا قد اختفى بعد اول ايام الزواج لكن تبقى الانسانة التي تعهدت للبقاء معها الى الابد.

كنت في حيرة من امري فكيف عساي ابث هذا الخبر الى السيدة مريانا التي تحب ابنتها اكثر من اي شيء كان ؟ كيف ساقول لها ان آنا صوفيا لن تكون هنا بعد الآن فقد غادرتنا رحلة ذهاب بلا عودة ؟؟ وليس هذا وحسب ما زالت ماريا التي ظلت تعيش على امل ان ياتي يوم وتتصلح علاقتها بامها وتراها تهتم بها وتحبها كما تحب الام ابنتها، يا الهي ماذا افعل الآن وما الورطة التي جلبتها لنفسي ... يا رب ساعدني ارجوك.

***

مرت مراسيم الدفن بحضور عدد هائل من الاهل والاقارب والاصدقاء في جو كئيب جدا وتحت بكاء مريانا وصراخها وهي تعانق كريس التي كانت تحاول ان تهدا من روعها قليلا اما انا فلم اترك ماريا ابدا التي مازلت تحت تاثير الصدمة ولم تستوعب لحد الساعة ان امها ماتت، بعد ان انتهى القس من قراءة الدعاء على روح آنا صوفيا غادرنا المقبرة جماعة

جماعة وهالة من الحزن تحيط بنا جميعا، وبالرغم من الوضع الذي انا لم انسى وجه ميكاييلا وهي تصرخ بهستيريا كونها السبب في الامر وحتى ان هذا خارج عن ارادتها تماما كنت بين نارين لا ادري كيف اتصرف ومع من اقف ؟؟ مع مريانا والدة الضحية ام مع ملاكي البريئ الذي يعاني اضطرابات عقلية، قبل ان اصعد الى السيارة استوقفني ليومن دراعي وقال بنبرة حزن ...

- انا اسف غابرييل فليرحمها الله وليغفر لها خطاياها

- اشكرك ليونيل

- ماذا ستفعل الان بخصوص هذه الحادثة ؟ هل ستسلم الآنسة ميكاييلا شارلوك الى الشرطة ؟

- لا اعتقد يا ليو انها مريضة ولديها حالة نادرة من انفصام في الشخصية لم تكن في كامل قواها العقلية عندما قامت بالجريمة

- انها الحالة التي تعمل عليها انظر الى الصدف .. وماذا ستفعل الان ؟

- صدقني لا ادري انني في حيرة من الامر ثم ان مريانا قد علمت بالصدفة عند حديثي مع كريس هذا الصباح واحدثت زوبعة من الصراخ والعتاب واقسمت انها ستخبر الشرطة هذا ان لم تخبرهم قبل بدء مراسم الدفن

- بالنهاية تبقى آنا ابنتها

- اجل ولا اخال انها ستفعل المستحيل لترى ميكاييلا في السجن

وبينما كنت اتحدث مع ليونيل امام المقبرة اقبل علينا رجليين يبدو عليهما انهما من الشرطة وقد خمنت ان السيدة ماريانا قد قامت بفعلتها وبلغت عنها، بعد ان صارا قبالتنا قال احدهما وهو ينظر نحوي يريني بطاقته الشخصية التي توضح انه محقق في قسم الشرطة الجنائية...

- سيد مونتويا لقد بلغنا ان الآنسة ميكاييلا شارلوك معملة ابنتك هي من قامت بالجريمة

- حضرة المحقق اريد ان اتحدث معك بهذا الخصوص لانه هناك امور يجب عليك معرفتها

- ما هي ؟

- ان ميكاييلا تعاني من مرض عقلي يجعلها لا تتحكم بنفسها

- ما هو قصدك ايها الطبيب ؟ لا اخال انك تدافع عنها بهذه الطريقة ؟

- صدقني انها الحقيقة

- على كل هي الان تحت قبضتنا وفي التحقيق وقد اتيت مع مساعدي لنخبرك بالامر وحسب لقد قبضنا عليها بعد ان قدمت السيدة ماريانا بندراجون شكوى ضدها وقد شهدت

ايضا خادة المنزل توليستا انها راتها تدخل الى غرفتها عن طريق الشرفة ساعة وقع الجريمة

- ولكن لا علاقة لميكاييلا سيدي ان اوديت شارلوك من ارتكب الجريمة

- سنرى في الامر

بسرعة ركبت السيارة وتوجهت الى مركز الشرطة لارى في امر ملاكي البريئ الذي وقع ضحية مرض عقلي نادر قلب حياته راسا على عقب، كنت اقود السيارة بصورة جنونية لا اصدق متى اصل عقلي كله عند ميكاييلا التي من الواضح انها في حالة يرثى لها، بعد ربع ساعة من الطريق وصلت اخيرا ترجلت من السيارة بعجل اركض الى الداخل اسال عنها اي شخص يظهر امامي وقد اتصلت بعدها على محامي العائلة شارل مونتونيغرو كي ياتي بسرعة ويتولى القضية، بعد محاولات عديدة مع رئيس القسم اخيرا سمح لي برؤيتها لخمس دقائق فقط وطلب من احد اعوان الشرطة ان يقودني الى الزنزانة التي تمكث فيها المتهمة.

كانت في حالة يرثى لها تحيط بها هالة كبيرة من الحزن غير مصدقة ما اقترفته يديها وفور رؤيتها لي ركضت بسرعة تمسك بالقضبان الحديدية وكانها تستنجد بي والدموع تتساقط من عينيها مثل زخات المطر...

- سيد غابرييل صدقني كنت دائما اريد ان اخبرك بالامر لكن خفت من ردة فعلك وان لا تصدقني القول

- شششش ... لا داعي ان تبرري لي اي شيء يا ميكا لان حالتك اعمل عليها منذ اربع سنوات وسعيت كثيرا كي اثبت وجودها وظهورك امامي قبل شهر من المذاكرة هو نعمة من الرب والقدر مع ان الضحية كانت زوجتي

- انا بالفعل اسفة لم اكن اريد قتلها صدقني

- انا اعلم فانت لا يمكن ان تقتلي نملة فكيف اذا بانسان لقد كنت اشك بالامر من الاساس وان تلك الروسية وراءها سر ما

سكتت قليلا ثم اردفت مجددا ...

- انها شقيقتي التوام اوديت لقد كانت هكذا دائما منذ سن البلوغ وحتى ساعة وفاتها غيرتها الشديدة مني جعلت منها انسانة سيئة وانانية تفتعل المشاكل للحصول على اي شيء تريده كنا متعلقتين ببعض كثيرا فالبنهاية نحن توام وبعد الحادث الذي وقع كانت ترادوني احلام وكوابيس عنها تقول لي انها لن تترك ياقتي وستعيش في داخلي وبعد مرور شهر لم اجدني الا وانا اتقمص شخصيتها ويرجح السبب وراثة من العائلة كما اخبرنا ابي ان جدتي رحمها الله كانت تعاني منه ايضا

- فهمت عليك ولا تقلقي سابذل جهدي لاخرجك من السجن واثبت انك بريئة

- لا داعي وجودي هنا اهون يا سيد غابرييل فانا خطيرة على المجتمع لانني مع الاسف الشديد سجينة بين ملاك وشيطان ولا استطيع منع اوديت من السيطرة علي لهذا لا تكلف نفسك عناء الامر

- هذا مستحيل فانا لن اترك ملاكا بريئا مثلك بين اربعة جدران ثم انت قد غيرت في اشياء عديدة منذ قدومك الى بيتي ولن اتخلى عنك بسهولة لانني ادركت اخيرا انني واقع بحبك بالفعل يا ميكاييلا شارلوك

- قلت واقع بحبي ؟؟.

***

مرت محاكمة ميكاييلا بصعوبة كبيرة لان السيدة مريانا لم تترك شيئا الا وفعلته كي ترى قاتلة ابنتها في السجن لكن انا لم استسلم ابدا بحثت كثيرا وطلبت العون من اخصائيين متمكنين في علم النفس حول حالة المتهمة وانها بالفعل لم تكن في كامل قواها العقلية عندما قامت بالجريمة كما ان المحامي شارل مونتونيغرو قام بواجبه على اكمل وجه ودافع عنها حتى النهاية امام القاضي كذلك كريستين لم تقصر ابدا اذ شهدت على حالتها ونوبات الصرع التي كانت تاتيها امام عينيها وقد كان لشهادتها هي وتوليستا دور كبير في تغيير مجرى القضية التي استمرت قرابة الشهر قبل النطق الاخير بقرار المحكمة والذي كان لصالح ميكاييلا شارلوك وانه استنادا على وضعها العقلي المتدهور فانه سيعلن الحكم عليها بالبراءة كونها لا تتمكن من السيطرة على نفسها كما انني وعدتها وتعهدت امام القاضي انني ساعالجها من مرضها بحكم انني في هذا المجال منذ اكثر من ثماني سنين.

بعد شهر ونصف قدمت مذاكرتي التي نالت تقدير كل من الاساتذة المشرفين عليها وتحصلت بعدها على شهادة الدوكتوراه التي حلمت بها منذ عامي الاول في الجامعة ولميكاييلا دور كبير في الامر التي بدات تستجيب للعلاج قرابة اسبوعين وصارت تتحسن شيئا فشيئا عن ذي قبل كما ان ماريا قد بدات تتقبلها كزوجة اب نيابة امها اذ وجدت فيها العاطفة التي كانت تفتقدها منذ وعيت على هذه الدنيا ولم تعارض فكرة زواجي منها كما انها ساعدتها كثيرا في تدارك دروسها حتى التحقت بالاعدادي.

اشرقت شمس يوم جديد بعد مرور ثلاثة اشهر حيث انتهت ميكاييلا من اخر جلسة علاج لها وهي لا تصدق ان الحياة وهبتها فرصة جديدة لتبدا صفحة بيضاء ملؤها السعادة والوئام، كان اليوم هو يوم زفافنا في حديقة البيت التي اشرفت على تزيينها شقيقتي كريس بكل فرح وحيوية من اعداد الطاولات والكراسي وكل شيء كان على اكمل وجه وقد بدا عندها الضيوف يزاولون المكان فرادى فرادى والفرحة بادية على وجوههم، طرقت الباب على غرفة ميكاييلا لارى في امرها ان كانت مستعدة ام لا حيث اتاني صوتها من الداخل تطلب مني ان ادلف اليها، فتحت الباب بهدوء لاتفاجا بالذي تراه عيناي الان وكما هو متوقع منها ملاك في هيئة بشرية كانت ترتدي فستان ابيض طويل يتخطى قدميها لولا الكعب العالي الذي ترتديه والذي رفع الفستان عن الارض قليلا ترفع شعرها الاملس فوق في شكل كعكة مع الطرحة التي تتدلى خلف ظهرها، تضع مساحيق تجميل بطريقة خفيفة رمزية من احمر شفاه وكحل يحيط بعينيها الزمردية تحمل باقة من الورود الحمراء بين يديها وتبتسم ناحيتي بعفويتها المعتادة، تقدمت ناحيتها بكل حب ايضا لا اصدق ان اليوم هو يوم اقتراني بها وقلت لها بفرح عارم ...

- واخيرا اتى اليوم الموعود حبيبتي

احنت راسها في خجل وقالت...

- انا سعيدة جدا يا غابرييل واشكر الرب الذي لقاني بك

- انا ايضا سعيد عزيزتي ومن اليوم وصاعدا لن اتركك ابدا مهما حدث

- اعلم هذا عزيزي وواثقة منه كما انني لن اتخلى عنك ابدا

كان لحظتها كل شيء بخير وعلى ما يرام حتى فجاة ودون سابق انذار شعرت ميكاييلا بصداع رهيب في راسها وصارت تبتسم بغرابة وهي تنظر الي ثم قالت..

- لقد عدت مجددا ايها الطبيب مونتويا.

النهاية